

سيمياء الشخصيات

فى رواية " عائلة من فخار " (مسار المتقاعد صاحب الخيزرانة)

لمحمد مفلح

الدكتور كوارى مبروك

جامعة بشار -الجزائر

محاور المداخلة:

سيمياء الشخصيات وامتداد السرد

- 1- المناص وامتداد السرد
- العنوان وبنية الرواية
- 2- سيمياء الأسماء :
- الشخص و البعد العجائبي
- بنية الشخص من الداخل والخارج

RESUME :

Cette approche sémiotique étudie les personnages principaux dans ce texte narratif , au titre ironique " famille en argile , l'itinéraire du retraite a la canne balisière " . l' auteur : Mohamed Meflah , 1^{er} édition dar el Gharbe 2008, pour découvrir le système combinatoire des personnages qui sont le facteur essentiel qui assurera le développement du sens du texte et dévoile l'intention du récit et le non dit du discours car les applications sémiotiques considèrent les personnages comme étant des fonctions évoquant le cinétisme narratif et les écarts sémiotiques des personnages romanesques.

الكتابة السردية تشغل على اللغة انتقاء وتركيباً، لإنتاج الدلالة، وتحقيق الأبعاد السيميائية، بالخرق للمألوف. لنظام اللغة، سننّها، ومنطقها المشكل للبنىّاتها في أبعادها السيميوتركيبية الموجهة للمعنى والدلالة في بنية النص السردى الروائى.

ولغة السرد كلما ابتعدت عن الحقيقة، والنظام والقاعدة – المعيار – إن على مستوى منطق الفكر، أو على مستوى التعبير اللغوي – الانتقاء والتركيب – حققت للغة الخطاب السردى فرادته الفنية في تشكيل النص الروائى، ووقعه الجمالى. أين تتصافر تقنية الخطاب، ونظام النص وحمولته التعبيرية والفكرية، وضبابية التخيل، وشعرية اللغة في خلق جو أسر للمتلقي، يجعله يندفع مستسلماً لمتابعة هذا الفضاء السردى، دون مقاومة طرح السؤال. وهنا لحظة المكاشفة والاستلاب فيحدث الأسر، ويتم التجاوب الوجداني بين الباث والمتلقي. حيث تنبجس عن هذه اللحظة متعة الاستلاب أو النفور، فييصم القارئ بحمولته الوجدانية والفكرية. وهنا مكن سر الخطاب السردى في وخلق بؤرة التجاوب الجمالى الوجداني..

تحاول هذه المقاربة البحث في أسماء الشخصيات الروائية الأساس في هذا النص السردى "عائلة من فخار" (مسار المتقاعد. صاحب الخيزرانة) لمحمد مفلح الطبعة الأولى 2008 دار الغرب. بالتركيز على الأسماء المحورية. وما يدور في فلكها – لكشف المسكوت عنه، المتوارى خلف الأحداث، لملامسة كيف قال النص قوله هذا. ولأن الشخصيات الروائية ما هي إلا علامات

تحتاج إلى تفسير وتأويل للوقوف على تقنية الخطاب السردية، والتعرف على مقصديات النص من خلال ما ينكشف للدارس من أبعاد الشخصيات السيميائية الموظفة في هذا الفضاء السردية – البعد الحقيقي ، والمجازي والثقافي – ففقت بفحص الأسماء في علاقتها بالتقنية السردية المتبعة في هذا النص من خلال المحاور التالية :

سيمياء الشخصيات وامتداد السرد :

1- المناص وامتداد السرد : العنوان وبنية الرواية

2- سيمياء الأسماء : الشخصيات والبعد العجائبي . بنية الشخصيات من الداخل والخارج

يشكل الاسم إحدى السمات المميزة للشخصية الروائية، ففي كثير من الأحيان تلخص لنا بعض الأسماء بإيجاز حقيقة الشخصية وتعطينا لمحة عنها، إذ أنه من المعلوم أن أي روائي لا يسمي شخصياته عبثاً أو اعتباطاً، بل يعمل على إيجاد أسماء تدل عليها وتكون بمثابة المعادل الموضوعي لها، فبناء الشخصية لا يقوم على جانب واحد فقط، بل إن الروائي يحاول التنسيق بين عدة أبعاد، لتكون في الأخير محصلتها الشخصية.

ولعل ما يسترعي انتباه أي دارس هو الاسم الذي تحمله الشخصية، لأنه يعينها ويمنحها كيانا محدداً، وإنه لمن البديهي أن الاسم الذي يحمله الشخص الواقعي

يختلف كثيرا عن الذي تحمله الشخصية الروائية، فالأول يخضع لمنطق الصدفة واللاتعليل في كثير من الأحيان، في حين أن الروائي يبذل مجهودا لانتقاء أسماء تدل على شخصياته، مراعيًا جملة من المعطيات من بينها: البيئة، المستوى الاجتماعي، والثقافي، العمر، الجنس، المهنة، الاتجاه الأيديولوجي..... إلخ. وبخاصة إذا علمنا أن هناك كنى معينة تلحق بالأسماء الأصلية للشخصيات تعطينا بعض المعلومات الموجزة عنها، كقولنا خروفة ولد الفخار ، سارة المراجي جيلالي العيار رمضان لقبابلي أحمد الخياط....

لقد أولت البحوث السيميائية اهتماما بالغا بدراسة مقولة "الشخصية الروائية، التي تعد ركيزة العمل الروائي ، والعنصر الهام الذي يضمن حركية النظام العلائقي داخل النص السردي ، وقد تعددت الدراسات التي تناولت هذه المقولة ، وتباينت مواقف النقاد بخصوص بنيتها و فعاليتها في الخطاب السردى.

إن مفهوم الشخصية في النصوص السردية يرتبط من الناحية التاريخية بنظرية المحاكاة الأرسطية التي تجعل النص الأدبي عملية محاكاة للواقع الإنساني، ومن ثم فإن الشخصيات الروائية امتداد للشخصيات الواقعية، وهذا ما يمكن تسميته ب: "مبدأ التكافؤ الدلالي المطلق بين العالم النصي والواقع الخارجى"1 وهذا ما ترفضه الدراسات السيميائية التي حددت هوية الشخصية من خلال أفعالها دون إغفال العلاقة بينها وبين الشخصيات الأخرى في العمل2 ؛ أي إن ما يميز نقد الشخصية

هنا هو الانتقال من داخل الشخصية إلى خارجها, و ذلك بالنظر إلى الأدوار التي تقوم بها, والاستعمالات المختلفة التي تكون موضوعا لها وبدأت الشخصية بمفهومها الكلاسيكي تتلاشى تدريجياً³

وقد عدّ الشكلاونيون الروس الشخصية دعامة أساسا للتحفيز في العمل القصصي, و أسموا الحوافز التي ترتبط بالشخصية ارتباطا وثيقاً "مميزات" (caractéristique), و هي تحدد نفسية الشخصية و مزاجها.⁴ ويعود الفضل في تفصيل الكلام عن الوظائف إلى فلاديمير بروب حيث قلل في كتابه "مورفولوجيا الحكاية" من أهمية الشخصية وأوصافها, ورأى أن الأساس هو الدور الذي تقوم به. يقول: إن ما هو مهم في دراسة الحكاية هو التساؤل عما تقوم به الشخصيات, أما من فعل هذا الشيء أو ذاك, وكيف فعله فهي أسئلة لا يمكن طرحها إلا باعتبارها توابع لا غير «⁵.

ثم قدم إتيان سوريو (Etienne Souriau) نموذج عاملي انطلاقاً من المسرح, يتكون من ست وحدات يسميها "وظائف درامية" وهي: البطل, والبطل المضاد, والموضوع, والمرسل, والمرسل إليه, والمساعد.⁶

استناداً إلى هذين الإرتئين المنهجيين السابقين, بنى غريماس نموذجاً العاملي, القائم على ستة عوامل تنتظم وفق ثلاثة أصناف, يضم الأول عامل ذات

أو فاعلا مقابل موضوع (objet/Sujet), و الثاني مخبرا أو مرسلا مقابل مرسل إليه (Destinataire / Destinateur), و الثالث مساعدا

مقابل معارض (Opposant/Adjuvant)

على أن هذه العوامل لا تأتلف إلا من خلال ثلاث علاقات هي: علاقة الرغبة التي تجمع بين من يرغب "الذات" وما هو مرغوب فيه "الموضوع علاقة التواصل التي تجمع بين موجّه للذات "المرسل" وموجّه إليه "المرسل إليه",

علاقة الصراع التي ينتج عنها إما تحقيق العلاقتين السابقتين أو منع حصولهما, و يدخل ضمنهما

عاملان يدعى أحدهما "المساعد" و الآخر "المعارض", يقف الأول إلى جانب الذات, بينما يعمل الثاني على عرقلتها.7

أما تزفتان تودوروف فيجرد الشخصية من محتواها الدلالي, و يتوقف عند وظيفتها النحوية, فيجعلها الفاعل في العبارة السردية؛ ويعتبرها قضية لسانية, فهي مجرد كائن ورقي, ليس له وجود خارج الكلمات8

تعزى الدراسة الجيدة للشخصية الروائية إلى فيليب هامون, الذي تركز مقترحاته كثيرا على المفهوم اللساني, في دراسته المتميزة حول القانون السيميولوجي للشخصية؛ باعتبارها قائمة على أساس نظرية واضحة تصفي حسابها مع التراث

السابق , و لا تتوسل بالنموذجين النفسى و الدرامى و غيرهما من النماذج المهمة⁹ حاول هامون أن يستفيد من دراسات سابقه, وأعتبر مفهوم الشخصية مرتبطا أساسا بالوظيفة النحوية التي تقوم بها داخل النص¹⁰. فالشخصية عنده بياض دلالي تسهم فى بنائه الذات المستقبلية للنص , هذا النص الذي لا ينحصر وجوده فى معناه أو دلالاته السطحية, وإنما هو يحيا ويتجدد, ومع كل قارئ يتشكل النص خلقا جديدا متميزا بدلالات جديدة, وهذا ما يجعل من الشخصية إشارة رامزة signes قابلة للتحليل, والوصف .. وهى الشعاع الرئيس للتوجه القيمي للقصه¹¹

وقد صنف الشخصيات إلى ثلاث فئات هى: الشخصيات الإشارية, والشخصيات الاستذكارية, والشخصيات المرجعية, التي تضم الشخصيات التاريخية, والأسطورية, و المجازية, والاجتماعية¹².

1-فئة الشخصيات المرجعية: وتشمل الشخصيات التاريخية و الأسطورية, والمجازية والاجتماعية.

2-فئة الشخصيات الإشارية: وتكون ناطقة باسم المؤلف مثل الرواة وما شابههم.

3-فئة الشخصيات التكرارية (الاستذكارية)

انطلاق من مفاهيم كلاً من (فلاديمير بروب) نظام الوظائف و (غريماس) النظام العاملي وتصنيف

(فيليب هامون)، للشخصية ستحاول هذه المقاربة الوقوف على بنية الشخصيات في "رواية عائلة من فخار" بإظهار الملامح السيميائية للشخصيات الفاعلة في النص وأثرها في امتداد السرد وهندسة الخطاب السردية .

بنية الشخصيات في الرواية:

من نافلة القول الحديث عن دور الأدب في تشكيل الوجدان وصياغة المواقف لكن من الواجب أن نقول كلمة عن الفن الروائي الذي نشغل عليه ولماذا نغنت أنفسنا في البحث في مركباته وتقنياته إلى غير ذلك من الأسئلة الجوهرية التي يمكن أن نطرح فالفن حياة لا شيء فيه يكسب بشكل نهائي والكتابة الروائية لا تهدف إلى الإعلام ، ولكنها اختراع دائم ومستمر للعالم ، والإنسان موضوع على بساط البحث والمناقشة¹³ .

فالحكي نظام لغوي ، يعكس من خلفه نظام ثقافة الأمة وحضارتها التي تبلورت في أحضانها ، وساهمت في انبثاقها في هذا الوجود.وهي تعبير لغوي فني معماريته تخبر عن معمارية العقل الكامن فيه وعن رهافة الذوق ودقته .كما تعكس رهافة ذوق الأمة التي ينتمي إليها الفنان ،وتفصح عن أسرار الكاتب ، وألق المجتمع الذي يكتب له . من هذه الزاوية تتجلى قيمة العمل الروائي في إغناء التجربة الإنسانية وتقديم بدائل تكشف المستور المتواري خلف الكلمات¹⁴.

يتشكل البناء الفني نجد لرواية " عائلة من فخار " من عدة سمات سردية . من أهمها الابتعاد عن أحادية الصوت حيث يترك المجال لظهور شخصيات متعددة وهو لذلك يمزج الواقع بالخيال محاولاً الإمساك بخيوط كثيرة لشخصيات واقعية يلبسها ثوب الخيال بمحمولاتها الدلالية المعروفة يهدف إلى إبراز عنصر الصراع بين رؤيتين لنوعين من الشخصيات:

النوع الأول: وهو الشخصيات المطحونة التي تمثل غالبية المواطنين التي تنتمي إلى عامة الناس، وهي على الرغم من فقرها الشديد لا تستسلم ، وتسعى للتغيير ، والتمرد على الواقع مثل شخصية خروفة المرأة المثقفة التي تسعى إلى تغيير واقعها بالعلم والمعرفة التي تحصلت عليها فهي مهندسة ... البطلة المرغوبة بصفة الأنثى المرفوضة بصفة عالمة تبحث عن العمل .. فهي جسد يشتهى وهنا تنتهي وظيفتها في مجتمع ما بعد الانفتاح الاقتصادي والسياسي . وفي صراعها بين رغبة والدتها في تزويجها بالانتهازي الجيلالي العيار تنكشف خيوط المؤامرة ويشتد الصراع ويتأزم الموقف الدرامي وتتباين الرؤى ويبقى الحكي مفتوح برحيل الأب واختفاء خروفة...

النوع الثاني: وهي شخصيات التي تمتلك المال وتبحث عن النفوذ تسعى لخدمة مصالحها، ولمزيد من الهيمنة على ما بيد الفقراء والمساكين يحاول إذلالهم فيتسلط على أهل البلدة ويستحوذ على مصنعها الوحيد مصنع المكيفات مستغلاً سياسة الانفتاح بطرق ميكيفيلية وتكون ضحيته المعاندة خروفة

فبحاول انتهاك عرضها تلذذاً ونكاية فى سكان البلدة الذين لا يحبونه الجلالى العيار رمز للتسلط والاستغلال اسمه واضح الدلالة فهو لا يصلح لشيء إلا أنه أصبح يملك كل شيء، وعلى الرغم من ماضيه الأسود تطلعات هذين النوعين من الشخصيات

وبالنظر إلى هيمنة هذين الصوتين تتشكل داخل النص ملامح لكل شخصية، باعتبارها علامة لها وجهان أحدهما دال (signifiant) ، والآخر مدلول (signifie) وهي تتميز عن الدليل اللغوى

اللسانى من حيث أمها ليست جاهزة سلفاً، ولكنها تحول إلى دليل لحظة بنائها عكس الدليل اللغوى الجاهز من قبل 15 . وينداح الحكى ضمن أطر هاتين الرؤيتين، فتغدو الشخصية واسطة العقد بين جميع مشكلات النص ، حيث أنها هي التى تصطنع اللغة ، وهي التى تبث أو تستقبل الحوار ، وهي التى تصطنع المناجاة وهي التى تصف وهي محور الحدث 16 .

ونظراً لصعوبة الإحاطة بكل الشخصيات ، والحديث عن إسهامها فى صنع الدلالة ، سنقتصر على الشخصيات الرئيسة . شخصيات عائلة خروفة فى مقابل شخصية الجلالى العيار اهتم محمد مفلح بعرض شخصيات النص الروائى ، وإبراز ملامحها ، واستغل كل عناصر السرد لإضاءة شخصياته المهيمنة ، وإعطائها الحد الأقصى من البروز ، وفرض وجودها فى جميع الأوضاع باعتماده تقنية السرد الآنى – الحاضر- والسرد المتقدم لكشف بعض

الآفأا أو عرض بعض المميزات فتداخل الوصف بالسرد وساد التلخيص والوقف والآذف ...

وقد اعتمد الكاتب فى تصوير هذه الشخصية على طريقتين:

1- الوصف المادى: آىث أسقط على الشخصيات الكثير من الصفات الجميلة والذمية حسب نوع الشخصية الموظفة إلى آد يجعل منها إحدى لوحات الطبيعة الآذابة فى قبحها أو فى صفائها

2- النجوى الذاتية: هناك وسيلة ثانية استعان المؤلف فى تقديمه للشخصية باعتماد تقنية النجوى الذاتية

وهى وسيلة عمد إليها للآوص فى داخل نفسية لالتقاط ذبذباتها ، ورصد ما يعتلج داخلها من عواطف ، ومشاعر رافضة للواقع البائس الذى يضغط بصدره على أنفاس البائسين، وبذلك تتآول إلى رمز للكبرياء ، والتآدي وخاصة المقاطع السردية التى يعرض فيها لشخصية آروفة...

تعد رواية " عائلة من فآار " من الأعمال الروائية الرائدة ، التى آاولت ملامسة مآامن الآلل فى البنية الاجتماعية ، والاآآصادية للمآمع الآزائرى فى مرحلة ما بعد المحنة . بلغة شفافة وتقنيات فنية عالية ، وآثر آمالى آأاذ. أين آوارى السارد آلف شخصياته ، وبين أبعاد التآولات السياسية

، والاقتصادية فى البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائرى فى جو هادئ ، ورؤية ثابتة بعيداً عن الصخب واللغط ، والصراع المكشوف بين مقومات العمل المتخيل ، والواقع الذى يجسده هذا الواقع الذى طغى على الساحة الأدبية ، بعد التسعينيات من القرن العشرين ، ووسم النتاج الأدبى الجزائرى عامة ، و السرد الروائى خاصة بتسمية متفردة - أدب المحنة - أين كانت معظم الكتابات تصب فى قالب مخلفات الإرهاب ، ووصف صراعاته مع السلطة ، والمجتمع كل من موقعه ... حيث تعامل هذا النص "عائلة من فخار " مع الواقع الجزائرى بكل مشكلاته المتداخلة ، والمتصارعة بطريقة مخالفة لما ساد فى الساحة الأدبية الفترة 1990-2006 . فعكس مختلف الصراعات التى تشكل محور العمل الفنى بنبرة واقعية ، ومنطق رزين بعيداً عن الغلو فى كشف بنية العلاقات الاجتماعية المركبة من خلال أسرة كعينة سردية من هذا الواقع المأزوم .

عرض السارد أحداث النص من خلال عنصرين واقعيين ، سادا فى فترة الانفتاح الاقتصادى (1990-2006) - الخصوصية والبطالة- أين غاص الراوى فى تعرية ملابس أعماق التحولات الارتجالية المزاحية ، وكشف جانب من آثارها المدمرة للبنية الاجتماعية ، وخاصة عنصر التماسك فى الأسرة الجزائرية ، فجاء نسيج النص الروائى مهندس وفق تقنية تبرز الحدث الخارجى ، وتداعياته فى تشكيل الوعي لدى أبطال القصة ، ومن خلاله تنجز الأحداث ، ويتبلور الصراع الدرامى فى خط أفقى تصاعدي ، ينطلق من نقطة الصفر ، وينتهى عند الذروة بؤرة الصراع بين تضارب تحقيق رغبات

الشخصيات، وأزمات الواقع المعيقة . هذا الواقع الذى سار فى خط معاكس لما كان ينتظر تحقيقه من هذه التحولات التى طرأت على البنية السياسية والاقتصادية

إن فهمنا لتجربة النص الأدبى مرتبط بفهم تجربة الوجود التى تفصح عن نفسها من خلال لغة النص الأدبى¹⁷ يكتب الروائى " محمد مفلح " ما يمكن أن نصلح على تسميته بـ " الرواية الواقعية التشويقية " ¹⁸ معتمدا فى ذلك على سرد الأحداث بلغة شفافة ، تهيمن عليها الإحالة المرجعية على واقع الجزائر . وكشف أوضاعها الاجتماعية والسياسية من داخل هرمية العلاقات الاجتماعية ، التى تفشت بعد انفراج أزمة العنف الدموى ، أين ظهر الفرز الطبقي . وما رافقه من خلخلة للبنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري . فالطابع الحداثى - الوقائعى الذى تتعاقب بمقتضاه الأفعال السردية يجعل من الخلفية التاريخية ، والاجتماعية والسياسية ، مداخلأ لخلق عوالم روائية ، تتصارع فيها مصائر الشخصيات الروائية ذات النفس الواقعى - الاجتماعى . وتعرض على شكل درامة بوليسية على مستوى البناء الروائى حيث يهيم العرض المكثف لموضوع الجريمة فى صلب الصيرورة الحداثية ، متداخلأ بعنصرى الإلغاز والإثارة ، بعيدا عن أية حذقة إنشائية أو نخبوية متعالية¹⁹ . مما يجعل القارئ مشدودأ لمتابعة القص... والوصول إلى المتوارى خلف الكلمات والأشكال لأن جوهر النص ليس فيما يبوح به صراحة فى الوهلة الأولى ، بل فى الآخر المخفى²⁰ بعد هذا التقديم سنباشر النص الروائى بفحص عناصر هذه المداخلة كما هو مبين فى التقديم:

- المناص وامتداد السرد :

العنوان وبنية الرواية 21 :

العنوان سؤال إشكالى ينتظر حلاً، والنص هو بمثابة إجابة عن هذا السؤال الإشكالى، وذلك بإحالاته على مرجعية النص المركبة من دلائل تعلن عن طبيعة النص ونوع القراءة التى تناسبه. هو عنصر غواية وإغراء للقارئ، ومقدمة المغامرة الإبداعية ، وهو لوحة وخطاب إشهارى ، وسلطة توجه القارئ، تخلته وتشده إلى النص وتحفز عملية الاستقبال لديه، وتشحن فعله التأويلى بإمكانات متعددة لقراءة النص المكتوب عبر تقنية الإغراء والإدهاش والتشويش بالاستحواذ على تفكيره ومشاعره بالتحريض أو المواجه. هو مغامرة أولى مع النص ومع محتواه وواجهة دورها جذب ولفت انتباه المتلقى. وتكمن وظيفته الأولى فى إثارة القارئ. فهو دافع وفتاح للشهية قراءة النص

والعنوان بنية مستقلة ذات بعد تواصلى تداولى بين عناصر الصيرورة الإبداعية التى تتشكل من المبدع

والنص، والناشر والنص، والقارئ والنص ، وتحيل إلى مرجعية ما ، سياسية مذهبية،فنية، يتجاوزها أقطاب الفعل الروائى - المبدع والنص والناشر والقارئ عبر تقنية الغواية، والإغراء والإدهاش للتأثير فى القارئ الذى يقدم له معرفة كبرى لفهم النص وضبط انسجامه، وفهم ما غمض منه. وهو وسيلة إجرائية فى التعامل مع النص فى بعده الدلالى والرمزى22.

ىجسد عنوان الرواية مفارقة ساخرة تهز مشاعر القارئ بمجرد ما يدرك أبعاد هذه العلامة اللسانية

(عائلة من فغار ..مسار المتقاعد صاحب الخيزرانة)

هذا التركيب اللغوى وهذا السبك النصى يحيل القارئ على دلالات مركبة تتداعى متزاحمة فى بؤرة شعوره تحاول فهم مكونات هذا الملفوظ على غرابته ..وتبدأ عملية طرح السؤال: فما المقصود بهذا الملفوظ ؟ وما هى مقصدية صاحب النص ؟ أى عائلة هاته ؟ ولما هى من فغار ؟ ...

من هذه الزاوية يتنقل هذا الدال من كونه دال تعيين إلى دال تضمين، فتنزاح دلالاته وتتداخل وتشابك التأويلات لدى المتلقي لتحليل شفرات هذا الملفوظ وهذا نتاج التشويش فى الفهم ، لأن العنوان كما يقول أوبرتو أىكو: عليه أن يشوش الأفكار لا أن يحصرها.

عنوان النص هو أول عتبة يتعامل معها القارئ ، وكلما لا فيها بريق الغرابة والالتباس كان لها تأثيرها البالغ فى شد القارئ إلى النص بإثارة فضوله المعرفى .

(عائلة من فغار ..مسار المتقاعد صاحب الخيزرانة) هذا العنوان نص سردي بامتياز ، نص مواز للنص الروائى ، يكشف لنا بنية النص الروائى ، وحمولاته الدلالية ، وأبعاده الدرامية . هذا النص المنهى التركيب والدلالة من البداية يعلن بداية الحكى ونهايته المحتملة . فإن كان ملفوظ العائلة تشع منه دلالة

الانسجام والتماسك ، والوحدة والاستمرارية لأعضائها ، فإن ملفوظ الفخار الذي الحق بملفوظ العائلة غير مسار التدليل . حيث أفرز هذا التركيب اللغوي الجديد دلالة مهيمنة عل النص توحى بما يناقض المسار الدلالي الأول الذي ارتبط بلفظ العائلة . فالعائلة هي من فخار وهذا الأخير يوحى بسرعة الزوال والتغيير والتلاشي لأبسط هزة يتعرض لها . وما يعمق هذا التدليل الملفوظ

الفرعي الذي يلاحق العنوان (مسار المتقاعد صاحب الخيزرانة) هذا الخطاب يكرس مدلول النهاية والتوقف عن العطاء فهو ملازم للخيزرانة حتى عرف بها دليل آخر على الوهن والهوان ...

العنوان مركب من عنوان أصلي يرافقه عنوان فرعي (عائلة من فخار ...مسار المتقاعد صاحب الخيزرانة) وهذا يشير إلى بنية السرد وامتداده فالحكي المسرود يجسد مأساة البطلة خروفة التي تتكالب عليها الظروف ، وتدفعها إلى النهاية المحتومة ، والهروب من الأسرة المفككة ومن جشع الانتهازيين المتسلقين على الرقاب ...العنوان يتضمن بداية الحكي ونهايته فهو يختصر امتداد السرد الروائي الذي انداح على ما يقارب المائة وعشر صفحات فهو يشير إلى بداية النهاية فالعائلة ستتفكك وتتلاشى تحت وطأة المتغيرات الواقعية والأحداث المشكلة للبنية السردية وهذا يكشفه لفظ فخار ، والخيزرانة ...

العنوان تقنية سردية وعلامة سيميائية . إن الكاتب محمد مفلح توضع عن قصد هذا الاسم للرواية (عائلة من فخار ...مسار المتقاعد صاحب الخيزرانة) وتعتمد وصف هذه العائلة بهذه الصفة الفخار . هذا العنوان وفر للنص الروائي تقنية سردية بما لخصته من أحداث في ملفوظات قصيرة ، فهو بمثابة سرد سابق ينبئ القارئ بما سيحدث . كما قدم أبعاداً سيميائية لهذا الملفوظ يقف عليها القارئ بجهد بسيط حيث يتحول الملفوظ إلى رمز يكشف بنية الواقع المتهري الذي تتولته الرواية . واقع الجزائر ما بعد الانفتاح الاقتصادي ...هذا الواقع الذي شكلته النزعات العصبية ، والنزوات الشخصية (الأمزجة والأهواء)

1- سيمياء الأسماء :

إن تواجد الشخصية في السرد الروائي ينطلق من اختيار الاسم 23 الذي يسمه بها الكاتب ، و به تتميز وتتموقع داخل القص . يلخص حقيقتها ، ويكون بمثابة المعادل الموضوعي لها، فبناء الشخصية لا يقوم على جانب واحد ، لأن الروائي يحاول التنسيق بين عدة أبعاد، لتكون في الأخير محصلة الشخصية الروائية .

اسم الشخصية، يمنحها كيانا محددا، ومن المفارقة أن الاسم الذي يحمله الشخص الواقعي يختلف جذرياً عن الاسم الذي تحمله الشخصية الروائية، فالأول يخضع لمنطق الصدفة واللاتعليل في الغالب ، في حين الروائي يبذل مجهودا لانتقاء أسماء تدل على شخصياته، مراعيًا جملة من المعطيات من بينها: البيئة، المستوى الاجتماعي، والثقافي، العمر، الجنس، المهنة، الاتجاه الأيديولوجي ...

تمكنه من إدارة الحدث الروائى بسهولة وفق تقنيات السرد . واختيار اسم الشخصية ليس اعتباطاً ، بل هو إعلان عن الخواص التى تنسب إليها ، وعلى امتداد السرد يحمل العديد من الدلالات الحافة التى يحرض عليها سلوك الشخصية وصفاتها ، والاسم إما يقيم علاقات استبدالية محضة مع الشخصية أو ينخرط فى السببية للقصة 24 .. لأن الشخصية ربما تكون هى كل شىء فى أى عمل السردى 25

1- أسماء العائلة :

تتشكل هذه العائلة من خمسة ذكور وأنثى واحدة بالإضافة إلى الأب والأم الأب اسمه العيد ، الأم : يمينة الإخوة محمد ، رشيد ، الحبيب ، موسى ، يوسف ، الأخت خروفة. الكاتب انتقى أسماء هذه العائلة وانتقى لها لقباً خاصاً بها " فخار "

هذه الترسمة من الأسماء تبدو طبيعية والناشز فيها اسمان خروفة ، فخار . هذان الاسمان يثيران المتلقى بما يكتنفهما من غرابة وغواية وعجب فى كشف انزياحات الدلالة التى ترافقهما . وسنقف على هذه التخريجات لاحقاً .

أسماء هذه العائلة تحيل القارئ على حزمة من الاستنتاجات والتأويلات السيميائية لهذه العلامات اللسانية فالأسرة التى تتشكل من هذا الحقل الاسمى البالغ الخصوصية بهذه الأسرة ، فكل الأسماء لها أبعاد سيميائية .

البعد التاريخى : أسماء شخصيات النص الروائى " عائلة من فخار " لها ارتباط وثيق بالتاريخ، وبجذور الأسرة فأغلب الأسماء هى امتداد لأسماء الأجداد فخروفة (هو اسم جدتها من أبيها) 26 ويوسف اسم الجد الأول للعائلة : (يذكر جيداً لخضر أن والده ربت على كتفه قائلاً بعطف يا خضر ..أشعر أن يوسف هو الذى سيحمى عائلة " ولد الفخار " . اشكرك يا بني لماسميت أحد أحفادي باسم جدي البطل الذى توفي بعد تمرد الحاج بطيب عام 1891) [الرواية ص:27]

قالت له والدته بحياد : (ليوسف)

-لا تنسى أن والدك سماك باسم جدك الكبير الذى كان مفخرة الدوار الرواية .

كان "سي يوسف لكبير " مجاهدا مع جيش الأمير ص:40

فامتداد أسماء الأجداد لدى الأحفاد دلالة على الاستمرارية والتماسك والكيونة والتواجد وهى

سمة تفتخر بها الأسر الجزائرية ، حتى لا تنقرض أسماء السلالة فى الأسرة .

وترث صفاتها . وهذه _____

مفخرة وأمنية كل أب يريد بناء أسرة مترابطة متماسكة بجذورها التاريخية ..

- **البعد الدينى :** الإحالة الثانية التى تتداح فى تخيل القارئ كون هذه

الأسماء مرتبط صراحة

بالحقل الدلالي الديني ، فغالبية الأسماء إما هي لرسل وأنبياء مثل اسم محمد موسى يوسف ، أو هي من خاصية الأسماء العربية الحبيب رشيد يمينية ..أو تحيل على مناسبة دينية العيد . هذا ما يشيع في النص الروائي نكهة المنافحة على العرض والدين وهذا ما نلمسه في ثنايا النص وخاصة المتعلقة بشرف الأسرة فلا تسامح فيها ولا مهادنة

توجيهات (الحبيب مخاطبا أخته:

(حافظي على شرف العائلة) الرواية ص: 28

- موقف الأب بعد إحالته على التقاعد وانهماكه في العبادة والذكر فهو إما منقطع في المسجد أو يتلو القرآن ويذكر الله في البيت

بدأ التلاوة (بسم الله الرحمن الرحيم إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة إذا رجت الأرض رجاً ..)...ثم شرع في تلاوة سورة الانفطار بصوت مرتفع وفي اللحظة التي ردد فيها الآية (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله)، انتصبت أمامه زوجته وأشارت إلى بيوت الجيران ثم همست قائلة له برجاء

- يا رجل الساعة الواحدة بعد منتصف الليل (الرواية ص65

الإحالة الثالثة البعد الوطني: كل أسما هذه الأسرة والأسماء التي تدور في فلكها شديدة الإيحاء إلى الرقعة الجغرافية التي تكثر فيها هذه الأسماء في الوطن

العربي ألا وهي الجزائر .. فاسم العيد ، ويمينة ، ولحبيب، رمضان القبائلي ص:46 ،... تحيل إلى رقعة جغرافية من الوطن العربي ، تسمى الجزائر وهذه إشارة لمحلية النتاج الأدبي الذي يحمل سمات فضائه الجغرافي والاجتماعي والتاريخي ...

اسم البطلة " خروفة ولد الفخار:"

بدأ النص الروائي بذكر أول اسم لهذه المدونة في ملفوظ سردي على لسان السارد

(تحملت " خروفة ولد الفخار " في صبر لفحات هذه الريح الحانقة للأنفاس ، وواصلت سيرها في شارع المستشفى المؤدي إلى ساحة البلدية . وتنهدت بقلق وهي تفكر في مستقبلها القريب . هل _____

قدرها أن تعيش في بيت والديها الذي لم يستطع التخلص من همومه الكثيرة)
الرواية ص:5

أول ما يصدم القارئ اسم البطلة "خروفة ولد الفخار:" هذا الاسم الغريب(كان لا يناديها باسم " خروفة" الذي قال عنه إنه اسم غريب) الرواية ص18

المفارقة في تركيب هذا الاسم تسمه بالبعد الغرائبي والعجائبي الذي ينبعث من دلالات هذا الاسم في لفظ خروفة والفخار أما البعد العجائبي فيكمن في ملفوظ ولد الرابط بين الاسمين . فهل البطل ذكر أم أنثى ؟ وبعد تمعن في الملفوظ

يزول اللبس ، ويدرك المتلقى أم " ولد الفءار " اسم العائلة ولكن سرعان ما يتوالد عنه غموض آخر ملتصق بملفوظ "خروفة" هذا الملفوظ له دلالات خاصة فى الثقافة الشعبية تنم عن السذاجة واللفظ والغفلة ... فلماذا هذه التسمية ما قصد الكاتب ؟ أيريد أن يجعلها ضحية سهلة الامتطاء؟... أم هى وسلة سردية بسهل له بناء الأحداث وتعطيها بعدها الدرامى ؟ أم رمز لشئ آخر سيكشفه السرد لاحقاً ؟ ...

فاسم البطلة مشحون بعة دلالات متوالية تحاصر المتلقى (خروفة ولد الفءار) . فكل كلمة مركبة من عدة دلالات يفرزها هذا التركيب العجيب . الذى يحمل فى طياته تناقض ظاهر وغريب يحيل إلى إشكاليات روائية نصية وخارج نصية

فاسم البطلة باعتباره تقنية سردية فهو سابقة ينبئ القارئ بالنهاية المؤلمة والفاجعة المحتومة . فلفظ

((خروفة / فءار)) تنسجم دلالاتهما النص الروائى فى إنشاء فضاء دلالى يرافق هذه الشخصية الذى وينم عن الضعف والهوان والاستسلام للقدر المحتوم . ولكن تطور السرد يبدأ فى كشف خيوط هذه الشخصية المتمرد فهى (لم تستسلم...بالرغم من مخاوفها) الرواية ص:57

فلما بلغت الأحداث ذروتها تظهر الفتاة المثقفة على حقيقتها وترفض المساومات فرغم تهديده لها بالفضيحة لما استدرجها إلى مكتبه بالشركة لم تستسلم..الرواية ص97

(كان الرجل يريد أن تصبح مجرد ساقطة في " صباح الرمية " . وبصقت حانقة. شعرت بالقيء وهي تلقي نظرة على حقيبتها . ثم ابتسمت لنفسها وهمست بإصرار:

- لن أفشل .. لن أفشل) الرواية ص98

بهذه المواقف سيتحول ملفوظ البطلية ويفرغ من شحنات الدلالية الأولية ،
ويصبح ملفوظ دال على

التمرد وعدم الخضوع للمساومات . وسيقف على امرأة شجاعة متحدية
ثائرة على التقاليد والفكر البائد المتسلط الاستغلالي الذي هو وليد نظام فاسد .
ونصيح النهاية مفتوحة على كافة الاحتمال وهذه جمالية هذا النص ومتعته ...

كما يحيل هذا الاسم إلى إشكالية واقعية لا زالت آثارها باقية بين سكان
الجزائر ، تمخر كيان المجتمع بما تشكله من إهانة ، وفتنة بين أبناء العشيرة
الواحدة . فإشكالية تسمية العائلات التي أقامها الاستعمار الفرنسي إبان تواجده في
أرض الجزائر حيث أطلق أسماء الحيوانات الجماد والنبات على الجزائريين لا
زال آثارها باقية في بنية المجتمع الجزائري .

"الءىلالى العىار":

ملفوظ ىسمى به الشخصىة المءورىة الءانىة فى الرواية وهى المءرضة على فعل السرد ، والمشكل لبنىة العنصر الءرامى . ما إن تغلق الأبواب أمام ءءقق هءف البءلة ءروفة ءىءى بلوء هءا الاسم فى الأفق السردى كمءلص لما هى فىه من معاناة (رأت لأن ءل مشكلءها ىمكن فى الموافقة على الزواج من ءىلالى العىار.لقد رفضء الزواج منه ءم ءرءءء ولكنها الآن سءعمل بنصىة والءءها) الرواية ص 10

هءا الاسم طغى على بؤرة شعور البءلة . هو المءلص. لكن ما إن ىمءء السرد ءىءى ءبءاً ملامء هءا الشخصىة ءءءلى . ولكن ىما ىءىب آمال البءلة فى ءءقق أءءافها . مما ىءفع المءلقى إلى ءءساؤل لما لقب بالعىار؟ ءءءءا ءءاطاة الجاهزة للءفسىر ، ءمءء ءلالاء الاسم انءلاقاً من الموروء ءءافى .

ءىلالى العىار : اسم مركب من اسم (ءىلالى) ، وهءة ءسمىة شائعة فى بلاد المغرب العربى ءىمناً باسم الولى الصالء (عء القاءر الءىلالى) وكنىة العىار وهى لفظ ملءق بالاسم له أبعااء السىمىانىة فى العرف الشعبى . فعىر الشىء بمعنى قاسه قىمه وزنه . وهى مهنة ىقوم أشءاص فى الأسواق الیومیة والأسبوعية . فىقوم بوزن البضاعة ونقلها ..ويعطى له مءابل زهىء على صنىعه هءا . وهى مهنة ءكااء ءشبه ءءسول لكن هى مقرونة بءءة الءكاء ، والمكر والءءاع ، والغش والءءلىس . لأنه بعمله هءا ىرضى ءمىع الأطراف رغم مل قد ىشوب

البضاعة من عيوب . وانتهت الوظيفة لكن التسمية بقية عالقة بالأسرة . البعد الأول للتسمية أنها تحيل على المكر والخداع ، والوضاعة ... وهي مهنة السوق فأصبحت عنصر مقوم لهذه الشخصية في ممارسة وجودها داخل الحكي. حيث أستطاع بمكره ودهائه أن يستولي على مصنع المكيفات الهوائية بطرق ملتوية (اشترى جيلالي العيار بناية المؤسسة التي أطلق عليها لسم "شركة البحيرة" وحولها في التسعينيات إلى سوق لبيع المواد المستوردة ؟) ص 32

وأصبح من أغنياء المدينة ، ويقوم بأعمال إجرامية دون أن يلحقه أذى (ألم يعتمد قتل جدي "سي العيد "....إنه قتله لسبب تاريخي) ص15

وهو شخصية معروفة بخبثها (إنه خبيث وكل المدينة تعرفه) ص 43

وابتزازها ولا راد لطمعها فهو شخصية انتقامية يتلذذ بتعذيب الآخرين في حوار ساخن لما أدرك أن خروفة لن تستسلم لنزواته انقلب من الوداعة إلى الانتقام (لن تنفقتي من قبضتي يا خروفة . لقد حصلت على صور تظهرك مع ذلك الأستاذ الغريب أنا أعلم عنك الكثير ...) الرواية ص83

وبهذا البعد الدرامي الانتقامي يتولد عنه موقف يوسف المدافع عن شرف الاسرة وبحاول قتله ويفشل ويدخل السجن وتغادر خروفة المدينة ويخل يوسف السجن ويتوارى الأب وتتفكك الأسرة ، ويبقى السرد مفتوحاً على التأويل لاكتشاف علاقة البنية السردية بالواقع الذي أفرزها في أبعاده السوسيواجتماعية .

فالرواية صرخة مكتومة تعري الواقع المتهري ، الذى يسود العلاقات الاجتماعية فى جزائر عهد الانفتاح الاقتصادى والسياسى

هوامش البحث :

- 1- عبد الرحمن بوعلى، شخصيات النص السردى، مجلة علامات فى النقد، ع8 فيفري 1999، ص.76
- 2- حميد لحمدانى: بنية النص السردى "من منظور النقد العربى"، المركز الثقافى العربى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الدار البيضاء، ط 3، 2000، ص 50 .
- 3- سعيد بوطاجين :الإشغال العاملى : دراسة سيميائية لرواية "غداً يوم جديد " لعبد الحميد بن هدوقة ص:14 منشورات الاختلاف ط1: 2000
- 4- مجموعة من الباحثين: نظرية المنهج الشكلى " نصوص الشكلايين الروس"، ت/ إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث العربية، الرباط، بيروت، ط1، 1982، ص 205 .
- 5- حميد لحمدانى: بنية النص السردى، ص 24.
- 6- حسن بحراوى: بنية الشكل الروائى، ص: 219 المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1987 ..
- 7- أ.ج غريماس: السيميائيات السردية "المكاسب والمشاريع"، ت/سعيد بنكراد، طرائق تحليل السرد الأدبى، ص183 اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط 1، 1992.
- 8- حسن بحراوى: بنية الشكل الروائى، ص 213 .
- 9- فيليب هامون :سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص 216 ترجمة سعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط 1990 .

- 10- حسن بءراوى: بنية الشكل الروائى، ص 213.
- 11- أوزوالء ءىكرو / ءان مارى سءلىفر : القاموس الموسوعى الءءىء: منءر عباشى ص 642: ط1. 2003 بىروء
- 12- فىلىب هامون :سىمىولوجىة الشخصىاء الروائىة، ءرءمة سعىء بنكرءء، ص 110 .
- 13- منى محمد نءىلان :ءءربىب فى الرواءة الأردنىة 1994/1960 ص:18 المؤسسة العربىة للءراساء ءءشر ط1.. 2000
- 14- رولان بارء :مءءل إلى ءءلىل البنىوى من الصءة 5 إلى12
- 15- ءمىء لءءانى: بنية النص السرى "من منءور النء العربى"، ص 51 .
- 16- عبء الملك مرءاض : فى نظرىة الرواءة عالم المعرفة ص" 104/103 ءىسمبر 1998ء الكوىء
- 17- نصر ءامء أبو زىء :إشكالىة القراءة وآلىاء ءأوىل . ص:42 المركز العربى ءءافى ط5 الءار البىضاء
- 18-19- محمد منصور : مءال بعءوان سلطة ءكى فى أءمال محمد مفلأ
- 20- الأدب والأءواع الأدبىة ءعرب طهر ءءار ص22
- 21- كوارى مبروك : مءال بعءوان (المناصىة ءأوىل) مءلة ءراساء ءزائرىة العءء ءىسمبر 2007 مءبر ءءلىل ءطاب ءامعة وهران
- 22- محمد مفاء : ءىنامىة النص ص 161 طبعة 87 الءار البىضاء
- 23- 24- أوزوالء ءىكرو / ءان مارى سءلىفر : القاموس الموسوعى الءءىء: منءر عباشى ص: 672 ط1. 2003 بىروء
- 25- عبء الملك مرءاض :ءءلىل ءطاب السرى ص127 ءىوان المءبوعات ءامعىة 1995 ءزائر
- 26- الرواءة ص:9
- 27 – الرواءة ص:30/31
- 28- م.س ص71